موقف بريطانيا في البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى

يحسن بالباحث قبل الخوض في دراسة موقف بريطانيا في البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى ، أن يلم المامة سريعة بالموقف الدولي عموما ، ليتسنى له ادراك الموقف الدولي في هـــذا البحر على وجه الخصوص .

للدكتور محمد محمود السروجى
كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ الرياض

الموقف الدولي قبل الحرب العالمية الأولى :

شاهدت السنوات الأولى من القرن الحالي تقارب بريطانيا وفرنسا بعد توقيع الاتفاق الودي بينهما في عام ١٩٠٤ ، ثم انضمام الروسيا اليهما في عام ١٩٠٧ بحيث تكون من الأطراف الثلاثة مايسمى بالوفاق الثلاثي · ومنذ ذلك الوقت اخذت الروسيا تبتعد عن ألمانيا التي ارتبطت بها منذ حلف القياصرة الثلاثة عام ١٨٧١ ·

ومن الجانب الآخر نجد أن امبراطورية النمسا والمجر ظلت مرتبطة بتحالفها مع ألمانيا ، لا سيما بعد أن تكون الوفاق الثلاثي المشار اليه · وفي نفس الوقت ، أو قبل ذلك بقليل بدأ التقارب الألماني التركي عقب معاهدة برلين عام ١٨٧٨ ، تلك المعاهدة التي أنهت الحرب التركية الروسية ، والتي حققت سياسة بسمرك مستشار ألمانيا ازاء المسالة الشرقية ، والقائمة على استصلاح الدولة الاوربية الكبرى على حساب ممتلكات الدولة العثمانية ·

واذا كانت ألمانيا قد عاملت مندوبي الدولة العثمانية في المؤتمر (مؤتمر برلين ١٨٧٨) باحتقار وامتهان شديدين ، وعملت ـ دون شك ـ على طرد الأتراك من أوربا ، والعمل على القضاء على دولتهم ، الا أن الأعوام التي ستعقب المؤتمر ستظهر تقاربا واضحا بين الدولتين التركية والألمانية ، اذ سيعتبر الأتراك العثمانيون أن ألمانيا ـ رغم قسوتها ـ كانت اكرم من غيرها من الدول ، فلم تقتطع لنفسها شيئا من الممتلكات العثمانية

داخل المؤتمر ، وكان بوسعها – لو أرادت – أن يكون لها نصيب الأسد في هذه الممتلكات (١) .

وبالفعل بدأت رؤوس الأموال الألمانية تتدفق على الدولة العثمانية في شكل مشروعات ، ومصارف ، وقروض . وأهم تلك المشروعات . مشروع سكة حديد برلين – بغداد – البصرة ، الذي أثار ثائرة البريطانيين ، ووقفوا له بالمرصاد ، لأنه سيقرب الخطر الألماني من الخليج ، مما يهدد المصالح البريطانية في هذه المنطقة وفي الهند تهديدا خطيرا . كما عارضته الروسيا ايضا .

ولم يقتصر التعاون بين الدولتين الألمانية والتركية على المجال الاقتصادي فحسب ، بل امتد الى النشاط العسكري ، حينما طالبت الحكومة التركية المانيا ايفاد احد ضباطها الكبار للاشراف على تدريب الجيش التركي واعداده وتسليحه .

وفي الحقيقة أن الأسلوب الذي اتبعه بسمرك في سياسته الاوربية منذ السبعينات من القرن التاسع عشر ، القائم على الأحلاف الاوربية الكبرى لفرض السلام على أوربا – لو صح هذا التعبير – لم يحقق كل ما كان يرجى منه ، « لأن الأسلوب كان أسلوب أحلاف متنافسة ، ولم يكن أسلوب عصبة عالمية شاملة ، كان ميزانا للقوى ، ولم يكن توافقا بين القوى . فاذا قوي او نما تكتل ما ، أفزع وأنذر نموه الدول الأخرى التي لا تدور في فلكه ، فعمدت بطريقة آلية أو ميكانيكية الى تكوين تكتل مضاد : فخلق تنافس الأحلاف سباق التسلح ، وانتهى التنافس في الكراهية والخوف بالمجموعتين المتعارضتين الى ميدان القتال » (٢) .

تبلور الموقف الأوربي قبيل الحرب العالمية الأولى في معسكرين اثنين : معسكر الحلفاء ويضم بريطانيا وفرنسا وروسيا ، ومعسكر الوسط ويضم المانيا وامبراطورية النمسا والمجر وتركيا ، وذلك بعد أن عقدت الأخيرة معاهدة دفاع سرية مع المانيا في ٢ أغسطس ١٩١٤ .

كانت اكثر هذه الدول استعدادا للحرب المانيا ، واقلها في ذلك الدولة العثمانية ، نظرا لما الم بها من نكبات في السنوات الأخيرة ، فجزء من قواتها يحارب في اليمن لاستعادة سيطرة الدولة ، وللقضاء على الثورات والقلاقل .

ولم تتوقف تلك الحرب الا عندما هدد الايطاليون طرابلس الغرب في عام ١٩١١ ، حيث عقد الامام يحى صلح دعان (١٩١١) مع العثمانيين ، ليتيح لهم فرصة التفرغ للدفاع عن طرابلس ومحاربة الايطاليين . ولكن هذا العمل لم يحل دون ضياع طرابلس وتنازل الدولة العثمانية عنها بمقتضى معاهدة أوشي ١٩١١ .

وفي نفس الوقت خاضت قوات الدولة العثمانية حربا فاشلة في البلقان ١٩١٢/١٩١٣ انتهت بخروجها من أوربا . وكان هذا الضعف الذي بلغته الدولة حافزا قويا للحكومة الروسية على الاستمرار في انتهاج سياسة تمزيق أوصالها . ومن ثم طلبت الحكومة التركية من ألمانيا ارسال أحد ضباطها الأكفاء لاعادة تنظيم الجيش التركي ، وقد لبت الحكومة الألمانية هذا الطلب فبعث ليمان فون ساندرس Liman von Sanders. لتولي وظيفة مفتش عام الجيش التركي برتبة فيلد مارشال (مشير) (٣) .

حالة البحر الأحمر قبيل الحرب العالمية الأولى :

اذا نظرنا الى القوى صاحبة النفوذ في البحر الأحمر نجد أن بريطانيا تأتي على رأسها ، فهي بحكم احتلالها عدن منذ عام ١٨٣٩ ، ومصر منذ عام ١٨٨٢ أن توطدت أقدامها على منفذي البحر الأحمر من الشمال والجنوب . كما أن انفرادها بحكم السودان في ظل اتفاقية الحكم الثنائي عام ١٨٩٩ ، وسيطرتها على زيلع وبربرة عام ١٨٨٤ قد مكنها كل ذلك من السيطرة على الساحل الغربي للبحر الأحمر تقريبا ، فيما عدا بقعة صغيرة جنوبي هذا الساحل تطل منها مستعمرة أريتريا الايطالية على هذا البحر . ولم تكن ايطاليا بالقوة التي يخشى بأسها ، بل على العكس من ذلك كانت تعتمد في بقائها في هذا الجزء على رضاء بريطانيا وتأييدها . بل ان بريطانيا شجعت ايطاليا على انشاء تلك المستعمرة لتنافس (٤) فرنسا في أوبوك وتاجورة (٥) التي عرفت فيما بعد باسم الصومال الفرنسي ، واعترفت بريطانيا بذلك رسميا في عام ١٨٨٨ ، بمقتضى اتفاقية تخطيط الحدود بينها وبين فرنسا في الصومال . ولكن منذ عقد الاتفاق الودي لم تعد فرنسا خطرا على المصالح البريطانية في البحر الأحمر .

أما الساحل الشرقي لهذا البحر ، فقد كان خاضعا بنسب متفاوتة – فيما عدا الركن الجنوبي الغربي منه – حيث توجد عدن الخاضعة لبريطانيا . وبالقاء نظرة على القوى البحرية للدول الأربع بريطانيا ، وفرنسا ، وايطاليا ، والدولة العثمانية نجد أن الأولى أقواها جميعا ، ومن يمتلك القوة البحرية يمكنه السيطرة تماما على سواحل هذا البحر وعلى طرقه التجارية . وكانت بريطانيا يهمها في المقام الأول أن يظل هذا البحر مفتوحا أمامها لسببين جوهريين : الأول أن حياة بريطانيا قائمة على التجارة ، والسبب الثاني أنه الطريق الرئيسي المؤدي الى الهند والى ممتلكاتها في شرق وجنوبي شرق آسيا .

ولم تكن بريطانيا تخشى من قوة الدولة العثمانية في هذا البحر بقدر خشيتها من قوة خليفتها المانيا – لا سيما بعد التقارب الكبير التي تم بين المانيا والدولة العثمانية في السنوات القلائل التي سبقت قيام الحرب العالمية الأولى – التي قد تتخذ من ممتلكات الأتراك على ساحل البحر الأحمر مراكز تموين لأسطولها في طريقه الى المستعمرات الألمانية في شرق أفريقيا ، ونقط ارتكاز ووثوب على المصالح الانجليزية في البحر الأحمر .

حالة الجزيرة العربية قبيل قيام الحرب :

اذا نظرنا الى الخليج نجد أن العراق يطل عليه من الشمال ، وهو وان كان خارجا عن شبه الجزيرة العربية ، الا أن خضوعه للحكم العثماني يمكنه من تهديد المصالح البريطانية في الخليج ، كما أنه يقع على الطريق الآخر المؤدي الى الهند ، ولكن مما يقلل من خطورة موقع العراق عدم وجود قوات بحرية عثمانية بسواحله ، وارتباط الكويت بمعاهدة حماية مع بريطانيا في عام ١٨٩٩ . فالوجود البريطاني العسكري في الكويت يحد من التهديد التركي الموجود بالعراق .

و في جبل شمر توجد امارة حائل تحت حكم آل الرشيد ، وتدين بالولاء للعثمانيين وترتبط بالعراق ، اذ كان آل الرشيد يتولون خفارة الحج

العراقي ، وكانوا يتقاضون عن ذلك راتبا من ولاية البصرة وبغداد (٦) · وكان ابن الرشيد - في نفس الوقت - على علاقة عدائية بعبد العزيز آل سعود أمير نجد ، ويجد تشجيعا من قبل الدولة العثمانية على ذلك ، لما كان بين الدولة وأسلاف عبد العزيز من عداء وحروب ·

وفي غرب الجزيرة العربية يوجد الشريف حسين بالحجاز ، وله من النفوذ الديني والسياسي أكثر مما لديه من قوة عسكرية ، وهو خاضع للدولة العثمانية التي تشك في اخلاصه وولائه لها ، وترى فيه نزوعا نحو الاستقلال وانتزاع الخلافة منها (٧) ·

والى الجنوب من الحجاز يوجد الادريسي بمنطقة عسير ، وقد خاض حربا شاقة بالتعاون مع الامام يحى ضد الوجود العثماني في اليمن وعسير (٨) · ولم تتوقف تلك الحرب الا بعقد الامام يحى صلح دعان مع الأتراك في عام ١٩١١ · وبخروج الامام من الحرب تسوء العلاقات بينه وبين الادريسي الذي يواصل أعماله العدوانية ضد الأتراك مستعينا بمساعدة الايطاليين له (٩) ·

ويلي الادريسي ناحية الجنوب الامام يحى الذي يعتصم بجبال اليمن مترقبا الفرصة للفوز باليمن خالصة له · وكان صلحه مع الأتراك ذا فائدة كبيرة للدولة العثمانية ، اذ أتاح لها فرصة التفرغ لمواجهة الخطر الايطالي في طرابلس الغرب ، وفي مواجهة الحرب البلقانية ١٩١٢/١٩١٣ · وقد دفع تورط العثمانيين في هذه الحروب الى توقيع اتفاق مع بريطانيا لتحديد منطقة نفوذهما في جنوب اليمن (١٠) في ٥ نوفمبر ١٩١٤ ، وبذلك تعترف الحكومة التركية لأول مرة بالنفوذ البريطاني في جنوب اليمن ·

أما بخصوص سلطنة لحج فقد ارتبطت هي والنواحي التسع بمعاهدات واتفاقيات مع بريطانيا تعهدت فيها الأخيرة بحمايتها ضد أي عدوان يقع عليها ، لا سيما وأنها تجاور مستعمرة عدن وتمثل خط الدفاع الأول عنها · وكذلك كان الشأن بالنسبة لمشيخات الخليج ·

وقد لخص حافظ وهبة الوضع في شبه الجزيرة العربية أجمل تلخيص حين قال « كان احتلال تركيا الفعلي موجودا فقط في العراق ، وسوريا ، وفلسطين ، ومكة ، والمدينة ، ومدن الحجاز الساحلية ، وشاطىء عسير ،

واليمن ، ولكن النفوذ الأجنبي القوي كان يتسرب الى هذه البلاد ، فلم يبق للحكومة كبير احترام في نفوس رعاياها ، أما الجزء الشرقي الجنوبي من بلاد العرب من الكويت الى عدن فلم يكن للأتراك سلطة يعتد بها ، بل كان النفوذ الانجليزي متغلبا ، ولو أنه لم يكن مباشرا الا في عدن » (١١) ·

خطة الأتراك العسكرية في شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر خلال الحرب :

كانت خطة الدولة العثمانية العسكرية ازاء شبه الجزيرة العربية ، وخصوصا المناطق الساحلية المطلة على البحر الأحمر ترتكز على دعامتين أساسيتين : الدعامة الاولى الوجود العسكري لها في الحجاز وعسير واليمن ، والدعامة الثانية النفوذ الديني للسلطان العثماني خليفة المسلمين وحامي حمى الحرمين الشريفين · وكل منهما يكمل الآخر فالضعف العسكري يعوضه ويدعمه النفوذ الديني ·

وترتب على هذه الخطة أن سعت الدولة جاهدة الى ضم الحكام العرب الى جانبها باسم الدفاع عن الدين ، أو على الأقل الحيلولة دون انضمامهم الى جانب الانجليز · ولكن حجتها في الجهاد كانت ضعيفة ، لأنها اختارت الوقوف الى جانب الألمان في الحرب لتحقيق أطماعهم الاستعمارية ، ولم يكن هذا يتفق مع مبدأ الجهاد ولا مع صالح الشعوب الاسلامية الخاضعة لحكم العثمانيين ·

وقد حاولت الحكومة التركية استمالة علي بن أحمد العبدلي سلطان لحج الى جانبها ، ملوحة له بالدين تارة ، وبمنحه عدن بعد خروج البريطانيين منها تارة أخرى ، ولكنها لم توفق لارتباطه بمعاهدات حماية مع الانجليز ، خصوصا بعد أن تعهدوا له بعدم المساس بالدين الاسلامي ، وباحترام الحرمين الشريفين (١٢) ·

كان من مخططات العثمانيين مهاجمة عدن وجزيرة بريم ، والاستيلاء عليهما لو أمكنهم ذلك ، في نفس الوقت الذي يهاجمون فيه قناة السويس من ناحية الشرق · أي مهاجمة مدخلي البحر الأحمر في وقت واحد ·

والحقيقة أن هذا التصور من قبل الأتراك كان بعيدا عن الصواب ، لأن الدولة العثمانية بقواتها المحدودة في شبه الجزيرة العربية ، والمحاصرة من قبل الاسطول الانجليزي لا تستطيع البتة زحزحة أقدام البريطانيين المحصينة في عدن عن طريق البر . أما عن طريق البحر فلا يمكن التفكير فيه البتة لعدم وجود أي أثر للاسطول التركي في البحر الأحمر .

أما عن الألمان حلفاء الأتراك فكانت خطتهم التي هدفوا اليها من وراء تحركات الدولة العثمانية في شبه الجزيرة العربية ، ولا سيما على شواطئها الغربية ، أن تتخذ من تلك المناطق معبرا للوصول الى مستعمراتها في شرق (١٤) أفريقيا . ولكن تفوق القوة البحرية الانجليزية في البحر الأحمر قطع كل صلة تربط ألمانيا بمستعمراتها السالفة الذكر .

لم ينجح الأتراك في اجتذاب أحد من حكام العرب سوى ابن الرشيد . أما الامام يحى في اليمن فقد التزم بالحياد المشوب بالعطف على الأتراك ، وذلك لسببين : الأول وجود قوات عسكرية تركية في بلاده تبلغ ١٤ ألف (١٥) رجل . والسبب الثاني أن موقفه كزعيم مسلم يدعوه الى عدم الانضمام الى عداء السلطان العثماني المسلم ، حتى لا تهتز صورته أمام أتباعه .

وحقيقة الأمر أن هذا الموقف قد أفاد الاثنين معا : السلطان العثماني والامام يحى ، فبالنسبة للأول أدى وقوف الامام على الحياد ، واطمئنان الدولة العثمانية اليه ، الى تفرغها لمهاجمة البريطانيين في الجنوب . هذا فضلا عن المعونات والقروض التي تلقاها العثمانيون من اليمن (١٦) .

أما بالنسبة للامام فان موقفه هذا لم يقيده بأحد من الطرفين المتحاربين ، وبذلك لا يتحمل نتيجة الهزيمة لأي منهما . وفي نفس الوقت يعطيه الفرصة الكافية لمراقبة تطور الأحداث ، واتخاذ مايراه في صالحه .

وعلى أي حال فكل ماكان يطمح فيه الأتراك في بداية الحرب هو شغل القوات الانجليزية في عدن بالهجمات المتكررة ، ظنا منهم أن هذا العمل سيرغم حكومة الهند التركية على توجيه قواتها ، المزمع ارسالها الى قناة السويس لصد حملة جمال باشا ، الى عدن لصد تلك الهجمات ، وفي ذلك بعض المساعدة لتلك (١٧) الحملة .

الاستراتيجية الانجليزية في شبه الجزيرة والبحر الأحمر :

لم يكن ميدان البحر الأحمر هو الميدان الرئيسي لبريطانيا في تلك الحرب ، فميدانها الأول الساحة الاوربية ، وفيها سيتقرر مصير الجانبين المتصارعين · كذلك فان هذا الميدان يخلو من قوة ألمانيا ، وهي القوة الرئيسية المعادية لبريطانيا ، فليس لألمانيا مستعمرات أو قوات برية أو بحرية على سواحل هذا البحر ، وحتى لو حاولت ألمانيا انزال قوات برية أو بحرية لن تستطيع ذلك لوجود الاسطول البريطاني القوي الذي لا يغفل عن محاصرة سواحل البحر الأحمر حصارا قويا · ولكن بحكم وجود قوات تركية متمركزة على سواحل هذا البحر وعلى مقربة من مستعمرة عدن ، فان بريطانيا اتخذت من الاجراءات مايكفل سلامة مواقعها ، هذا فضلا عن الدفاع عن أصدقائها وحلفائها المجاورين لها · وحتى لو انتصرت في هذا الميدان فلن يكون انتصارا حاسما يقرر مصير الحرب ·

وكانت خطة بريطانيا الحربية التي وضعتها لمنطقة الشرق الأدنى ترمي الى تحقيق أمرين جوهريين : الأول « أن تحتل رأس الخليج العربي فتحمي منابع الزيت ، وتمنع العدو من تأسيس مراكز بحرية تهدد المواصلات البريطانية مع الهند ، والثاني أن تحتفظ بهذه المواصلات مفتوحة عن طريق قنال السويس والبحر الأحمر » (١٨) ·

وعلى ضوء هذين الاعتبارين كان تحركها المرسوم في الخليج ، وفي شبه الجزيرة العربية ، وفي البحر الأحمر ·

وكان هذان الاعتباران يمليان على بريطانيا الدخول في مفاوضات مع الحكام العرب مستغلة عداءهم للدولة العثمانية ، والخلافات القائمة بينهم ، لربطهم بسياستها ، حتى لا يكونوا جبهة متحدة ضدها · وقد أوضح تقرير جاكوب لحكومة الهند في ١٠ مارس ١٩١٦ الصعوبة الكبيرة التي تحول دون تحقيق اتحاد عربي مضاد للأتراك ، وذلك نظرا لأن « لكل رئيس عربي لعبته » (١٩) ·

فمن ناحية الخليج كانت الأوضاع مستقرة بالنسبة لبريطانيا الى حد كبير ، فارتباطها بالكويت بمعاهدة حماية عام ١٨٩٩ ، وكذلك مشيخات الخليج ، ثم نجاحها في عام ١٩١٥ في كسب صداقة الملك عبدالعزيز بن‌سعود ، كل ذلك جعلها في مركز أفضل من وضع الأتراك العثمانيين في العراق .

اضف الى ذلك أن المعاهدة الانجليزية السعودية عام ١٩١٥ قد شلت حركة الأتراك داخل شبه الجزيرة العربية فلم تستطع الدولة العثمانية الاتصال بقواتها في اليمن عن طريق نجد ، لا سيما بعد اندلاع الثورة في الحجاز ، وبذلك اشتدت وطأة الحصار المفروض على القوات التركية بشبه الجزيرة (٢٠) .

ومن ناحية البحر الأحمر فقد تطلعت بريطانيا الى الشريف حسين الذي تظاهر بولائه للدولة العثمانية التي كانت تشك في اخلاصه ، ومن ثم فقد عينت وهيب بك واليا على الحجاز للقيام بمهمة التخلص منه (٢١) . وكان البريطانيون يدركون مدى كراهية العرب للأتراك بصفة عامة والشريف حسين بصفة خاصة ، « وكثيرا مالعبت برءوسهم فكرة استخدام الشريف حسين » (٢٢) .

وجد المسئولون الانجليز في الشريف حسين بغيتهم ، وذلك لمحاربة الأتراك العثمانيين بنفس سلاحهم . فاذا كان السلطان العثماني قد أعلن الجهاد ضد بريطانيا ، فان اعلان الشريف حسين ـ بما يتمتع به من مركز ديني كبير ـ الجهاد ضد الدولة العثمانية انما يبطل تأثير جهادها على مسلمي الامبراطورية البريطانية (٢٣) .

وقد تم لبريطانيا ماأرادت بعد اتفاقها مع الشريف حسين عام ١٩١٥ ، واعلان الجهاد في ١٠ يونيه ١٩١٦ . وكان هذا الوقت مناسبا للانجليز ، وأدى لهم خدمة كبيرة (٢٤) . وتعهد الشريف حسين باشعال نار الثورة في سوريا والحجاز وعسير واليمن في وقت واحد . وأثيرت في ذلك الوقت فكرة قيام خلافة عربية في مكة المكرمة ـ كنوع من الحرب السياسية ـ ليجد فيها مسلمو الهند بديلا عن الخلافة العثمانية . وكان لجاكوب (٢٥) راي آخر في هذا الموضوع ، فهو يقرر بأن انتقال الخلافة من السلاطين العثمانيين الى أشراف مكة ليس الحل الأمثل ، اذ سيترتب على هذه العملية حركة احياء ديني

شبيهة بما أحدثته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من قبل ، ويخشى أن تقع الخلافة في قبضة من يستطيعون امدادها بالقوة والحيوية · ونظرا لقرب الجزيرة العربية من الهند فان تأثير هذا الحدث سيكون خطيرا عليها · ولذا فهو يفضل بقاء الخلافة العثمانية تحتضر ، حتى ولو كانت في ظل النفوذ الروسي ، على قيامها في شبه جزيرة العرب شعلة الاسلام (٢٦) ·

ويجاور الشريف حسين من ناحية الجنوب الادريسي في منطقة عسير ، وهي منطقة هامة على ساحل البحر الأحمر وتجاور اليمن من ناحية الشمال ، وتركزت أنظار المسئولين البريطانيين عليه ، محاولين ضمه الى معسكرهم ، مستغلين عداءه للأتراك من ناحية وللامام يحيى من ناحية أخرى ، ولوجود قوات تركية كبيرة العدد في اليمن يخشى بأسها · فكسب الادريسي لجانب الانجليز سيضع القوات التركية في اليمن بين فكي كماشة ، أي بين عسير وعدن ·

كانت معاهدة الادريسي مع بريطانيا في ٣٠ ابريل ١٩١٥ هي أول معاهدة يعقدها البريطانيون مع أحد الزعماء العرب في الحرب ، وتنص على شن حرب ضد الأتراك ، والعمل على طردهم من اليمن ، وباستخدام الانجليز لجزر فرسان في الأعمال الحربية ، في مقابل تعهد بريطانيا بحماية الادريسي وبمساعدته ماديا وعسكريا ، والسماح لسفنه بحرية الملاحة في البحر الأحمر وبالاتجار مع ميناء عدن · ولكنها حذرت الادريسي من اثارة الامام يحيى في اليمن ، حتى لا يجد نفسه مضطرا للتحالف مع الأتراك ·

استفاد الادريسي من تلك المعاهدة فائدة كبيرة ، فحصل على مايحتاج اليه من أسلحة وذخائر لدفع خطر الأتراك عن بلاده ، وفوق ذلك فقد تمتعت عسير بنوع من الرخاء نتيجة لفتح أبواب التجارة أمامها ، في نفس الوقت الذي كان يعاني فيه اليمن ضائقة اقتصادية أخذت بتلابيبه ، نتيجة الحصار الشديد والطويل على موانيه من قبل الاسطول البريطاني ·

ورأى البريطانيون أن يكافئوا الادريسي نظير خدماته واخلاصه لهم أن يبرموا معاهدة معه في ٢٢ يناير ١٩١٧ يعترفون فيها باستيلاء الادريسي على جزر فرسان واعتبارها من ممتلكاته · ويذكر جاكوب بأن الادريسي انزل علمه من على تلك الجزر خشية انتقام الأتراك منه بعد انتهاء الحرب ، وفي نفس الوقت تحرج من رفع العلم الانجليزي عليها حتى لا يتهم ببيعها للانجليز ·

وحقيقة الأمر أن البريطانيين لم يكونوا بحاجة الى رفع علمهم عليها لأن هذا يتعارض مع المعاهدة التي أبرموها مع الادريسي في ٣٠ أبريل ١٩١٥ ، اذ كانت تنص في أحد بنودها بعدم رغبة بريطانيا في التوسع في غرب شبه الجزيرة العربية ، فاذا ما أقدمت على رفع العلم ، فانها بذلك تكون قد أتت بما يتناقض مع نصوص تلك المعاهدة ·

ويشكو المسئولون البريطانيون من قلة النشاط الحربي الذي يقوم به الادريسي في أحد تقاريرهم ، والمؤرخ في ١٠ مارس ١٩١٦ ، ويرجعون ذلك الى ترقب الادريسي لتحركات بريطانيا العسكرية في ميدان اليمن وفي غيره من الميادين ، وذلك للقيام بتحرك مدروس يحقق له مصالحه الشخصية (٢٧) ·

العمليات الحربية في شبه الجزيرة العربية وفي البحر الأحمر :

كانت المعارك التي دارت في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية محدودة ، اذا ماقيست بحجم القوات الموجودة لدى الطرفين المتحاربين من ناحية ، وبمدة الحرب العالمية الأولى من ناحية أخرى · ومرد هذا – كما سبق أن ذكرنا – هو أن ميدان البحر الأحمر كان ميدانا ثانويا من جهة ، ولضعف القيادة التركية وتكاسلها من جهة ثانية ·

تحركت بريطانيا على الجبهتين الشمالية والجنوبية – أي جبهتي مصر واليمن – في وقت واحد · فبالنسبة للجهة الشمالية قامت بريطانيا بتعزيز حاميتها في مصر ، وأعلنت الحماية عليها ، وفرضت الأحكام العرفية في البلاد ، وقامت بخلع الخديو عباس الثاني لنزعته التركية ، وضمت جزيرة قبرص التي تحمي مدخل القناة من الشمال · وفي فبراير ١٩١٥ نجحت في صد هجوم جمال باشا على القناة من ناحية الشرق ، وبذلك تمكنت من ابعاد الخطر عن شمالي البحر الأحمر ·

أما بالنسبة للميدان الجنوبي فقد عملت على تدعيم قواتها البرية

والبحرية في منطقة عدن وفي جزيرة بريم ، واشتركت مع الادريسي في الاستيلاء على ميناء اللحية في اليمن في يونيه ١٩١٥ ، ولكنها لم تستطع الاحتفاظ به · وكان رد الفعل المضاد من جانب الأتراك ضرب معسكر « دير حسين » التابع للادريسي ونهبه والاستيلاء عليه (٢٨) ·

ونظرا للحصار الشديد الذي فرض على القوات التركية في اليمن ، أن عاني الجيش والأهالي من جراء ذلك الشيء الكثير · ويذكر الواسعي في أحداث عام ١٣٣٣هـ (١٩١٤م) قوله « واشتدت الحرب العظمى ، وامتنعت القطارات والبواخر البحرية ، وأصاب الناس ضرر شديد بسبب ذلك » (٢٩) . ولم يكن أمام تلك القوات للخروج من تلك الحلقة المحكمة الا أن تندفع نحو الجنوب الى سلطنة لحج والنواحي التسع للاقامة فيها والتزود من خيراتها · وفي نفس الوقت الاقتراب من عدن وتهديدها والضغط على حاميتها · وتم لهم ذلك في يوليه ١٩١٥ · ولم تفلح محاولات بريطانيا لاخراجهم منها الى أن انتهت الحرب · وقد أدى سقوط لحج في أيدي العثمانيين ، ونجاحهم في الاحتفاظ بها ، الى تدهور هيبة البريطانيين لدى أصدقائهم وحلفائهم من زعماء العرب ، كما اعترف بذلك جاكوب في تقريره (٣٠) ·

ويذكر العبدلي أن قائد القوات البريطانية في عدن قد برر عجز القوات البريطانية عن استرداد لحج أو الحيلولة دون سقوطها في أول الأمر ، باتساع جبهة القتال ، وبأولويات جبهات القتال المختلفة ، وباعتقاده أن جبهة فرنسا هي التي ستقرر مصير الحرب ، وليست الجبهة العربية (٣١) ·

واذا أمعنا النظر في هذا التبرير نجد أنه يشتمل على جانب كبير من الحقيقة ، زد على ذلك أن مايمكن أخذه دون سفك دماء ، من العبث أن يراق الدم من أجله ، خصوصا عندما أعلنت الثورة في الحجاز في منتصف عام ١٩١٦ وبدت بشائرها محققة لآمال الانجليز ·

ولا نجد ــ بعد استيلاء الأتراك على لحج ــ معارك ذات قيمة تذكر ، اللهم الا بعض المناوشات المتبادلة بين الجانبين ·

أما جبهة الحجاز ، فما أن قام الشريف حسين بالثورة في ١٠ يونيه/ ١٩١٦ ، معلنا الجهاد ضد الاتحاديين ، ومتهما لهم بالخروج على الشريعة الاسلامية ، الا وسقطت مدن الحجاز ــ فيما عدا المدينة المنورة ــ في يد قوات الشريف حسين في أقل من ثلاثة شهور · ثم اندفعت شمالا الى العقبة ــ بعد

أن حطمت سكة حديد الحجاز ـ واستولت عليها في ٦ مايو ١٩١٧ ، حيث أصبحت مركز العمليات الحربية في شرق الأردن • وأعقب ذلك استيلاء اللنبي بمساعدة العرب على مدينة القدس في ٩ ديسمبر ١٩١٧ ، وبلغ المد العربي العسكري مداه باحتلال دمشق في أول أكتوبر ١٩١٨ •

حدث هذا في شمال شبه الجزيرة العربية ، بينما نجد أن الجبهة الجنوبية في اليمن كانت هادئة • ويبدو أن الأتراك والانجليز قد قنعا بما تحت أيديهما ، انتظارا لما تسفر عنه الحرب في الميدان الأوربي • وأدى هذا الانتظار الذي استمر قرابة السنتين الأخيرتين من الحرب الى ايجاد نوع من التفاهم وتبادل المصالح في حدود ضيقة •

وعندما انهارت مقاومة دول الوسط في أوربا ، طالبت الدولة العثمانية بالهدنة ، وتم ذلك في هدنة مودروس (٣٠ أكتوبر ١٩١٨) ، وتنص على انسحاب القوات العسكرية والادارة المدنية من شبه الجزيرة العربية •

وخلاصة القول فقد أظهرت سياسة بريطانيا الحربية في البحر الأحمر مدى الترابط بين الجبهة العسكرية في مصر التي تقع على الباب الشمالي لهذا البحر ، والجبهة الجنوبية في عدن التي تتحكم في مدخله الجنوبي ، فعندما هاجم الجنرال اللنبي الأتراك في فلسطين ، قام في نفس الوقت بضرب ميناء الحديدة •

وقد اتضح هذا الترابط ايضا في الخطة الحربية التركية ايضا ، فحينما هاجمت قواتهم مصر بقيادة جمال باشا في عام ١٩١٥ ، قامت قواتهم في نفس الوقت في اليمن بضرب مواقع الانجليز وحلفائهم في الجنوب •

كما استطاعت بريطانيا أن تدير عملياتها العسكرية بنجاح اعتمادا على بعض الحلفاء من العرب ، وعلى قوات برية قليلة العدد جيدة العدة ، وتفوق بحري حاسم • وأثبتت تلك العمليات أن التفوق في البحر يتحكم الى حد كبير في سير المعارك في البر •

وأثبتت ايضا أن عدن رغم خضوعها من الناحيتين السياسية والعسكرية لحكومة بمباي في المقام الأول ، ولحكومة الهند في المقام الثاني ، الا أن سير القتال قد أثبت ارتباطها بالقيادة العسكرية الانجليزية بمصر أكثر من ارتباطها بالهند •

ملحق بهذا المقال وثيقة يجدها القارىء في القسم الانجليزي من هذا العدد •

مصادر البحث

اولا ـ المصادر العربية :

- **اباظة ، فاروق (دكتور)** : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ ـ ١٩١٨ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ .

- **انيس ، محمد (دكتور)** : الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤ ـ ١٩١٤) ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

- **جرانت ، أ. ج وتمبرلي ، هـ** : أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧٨٩ ـ ١٩٥٠ ، الجزء الثاني ، الادارة العامة للثقافة ، القاهرة .

- **الزركلي ، خير الدين** : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٣٩١/هـ١٩٧١م .

- **السروجي ، محمد محمود (دكتور)** : تاريخ أوربا الدبلوماسي من السبعينات للقرن التاسع عشر الى الحرب العالمية الأولى ، الاسكندرية ، ١٩٦٦ .

- **العبدلي ، أحمد فضل** : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥١هـ .

- **العقيلي ، محمد بن أحمد عيسى** : تاريخ المخلاف السليماني أو الجنوب العربي في التاريخ ، جزءان ، الجزء الثاني ـ دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٣٨٠هـ ١٩٦١م .

- **الواسعي ، عبد الواسع بن يحى** : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٤٦هـ .
- **وهبه ، حافظ** : جزيرة العرب في القرن العشرين ، المطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٤٦ .

دوريـــات

- منسي ، صالح محمود (دكتور) : موقف أهل الشام من التبعية للحجاز ابان الحرب العالمية الأولى ـ مركز بحوث الشرق الأوســـط بجامعة عين شمس ، العدد الثاني سنة ١٩٧٥ .

ثانيا ـ الوثائق والمراجع الأجنبية :

- وثيقة لم تنشر بعث بها مارك سايكس من عدن الى حكومته ، يبين فيها الأوضاع في شبه الجزيرة العربية في عام ١٩١٥ . وقد أرفقت بالبحث كملحق له : **انظر الوثيقــة في نهاية الوثائق والمراجع الاجنبية**

المصــادر

١ ـ محمد محمود السروجي : تاريخ أوربا الدبلوماسي ص ٩٥ .
٢ ـ جرانت وتمبرلي : أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ، جـ ، ص ٥٩ .
3. Gross Politik, vol. 38, PP. 283 - 305.
4. Langer, An Encyclopaedia of world History. P. 745.
5. Newsman, Britain & North - East Africa. P. 214.
٦ ـ الزركلي : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ص ١٤ .
٧ ـ حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ص ١٥٨ .
8. Hogarth, Arabia, P. 119.
٩ ـ فاروق أباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ص ٥٤٧ .
10. Ingrams, H., The Yemen Imams, Rulers & Revolution, P. 62.
١١ ـ حافظه وهبه : المصدر السابق ص ١٧٠ .
١٢ ـ أحمد فضل العبدلي : هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ص ٢٠٧ .
13. Lenczowski, The Middle East in World Affairs, P. 61.
١٤ ـ فاروق أباظة : المصدر السابق ص ٦٤٦ .
15. Jacob, Kings of Arabia, P. 168.
١٦ ـ العبدلي : المصدر السابق ص ٢١١ .
١٧ ـ العبدلي : المصدر السابق ص ٢١٠ ، ٢١١ .
١٨ ـ حافظ وهبه : المصدر السابق ص ١٧١ .
١٩ ـ فاروق أباظة : المصدر السابق ص ٦٣٠ .
٢٠ ـ محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي ص ٢٧٧ .

٢١ ـ حافظ وهبه : المصدر السابق ص ١٥٨ .

٢٢ ـ جرانت وتيمرلي : أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين جـ٢ ، ص ٣١٠ .

٢٣ ـ صالح محمود منسي : موقف أهل الشام من التبعية للحجاز ابان الحرب العالمية الاولى ـ مجلة الشرق الأوسط ، العدد الثاني ص ٧١ .

٢٤ ـ جرانت وتمبرلي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٣١١ .

٢٥ ـ جاكوب كان يشغل منصب المساعد الاول للمقيم السياسي البريطاني في عدن خلال فترة الحرب .

26. F. O. 371/1486 No. 16 Secret, Mark Sykes to F. O. Aden, July 23 rd 1916 P. 89.

٢٧ ـ فاروق أباظة : المصدر السابق ص ٦٣٠ .

٢٨ ـ محمد بن احمد عيسى العقيلي : المخلاف السليماني او الجنوب العربي في التاريخ جـ ٢ ص ١٠٩ .

٢٩ ـ عبد الواسع بن يحى الواسعي : تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ص ٣٢٩ .

٣٠ ـ فاروق اباظة : المصدر السابق ص ٦٢٨ .

٣١ ـ العبدلي : المصدر السابق ص ٢٢٩ .

F. O. 371/2486 No. 16. Secret Mark Sukes to F. O., Aden, July 23 rd 1916 p. 89.

— Hogarth, D. G. Arabia, Clarendon Press, Oxford. 1922.

— Ingrams, H. The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions London, Camelot Press, 1963.

— Jacob, Lieut, Colonel H. F., Kings of Arabia, London, Mills and Boon, 1923.

— Langer, W., An Encyclopaedia of World History.

— Lenczowski, G., The Middle East in the World Affairs, 3 rd. Cornell University Press, lthoca. N. Y. 1962.

— Newman, Britain & North East Africa.